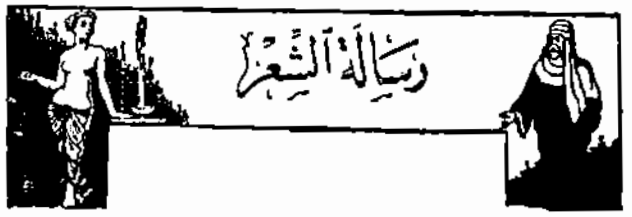

في رياض نيسابور

أسطورة الخيام

للأستاذ إبراهيم العريض

— ١ —

في أرضِ إيرانَ حَيثُ الهُضْبُ لابسةٌ
زنارهـا
من الثُلوجْ
كالحُـورْ
تستقبلُ الشمسَ ... والأنهارُ هامسةٌ
أسرارَهـا
بينَ الرُوجْ
للنُـورْ

جلا الربيعُ بنَيْسَابُورَ موكبَهُ فزادَ عيداً إلى أعيادِها الأُخرِ
يا ناعمًا فِي رُبوعِ الخُـلدِ ليلتَه
مستْ خُطاكَ ثرَى الوادى .مَعَ السحر
فلم تزلْ خُضراء الطيرِ تهتفُ فى أفنانِها لجنُوم الأرْضِ بالخبر
حتى تلألأنَ فى ضوء النهارِ ثنًى وفُزْنَ منكَ فُرادى بالشذى العطِر
فالزهرُ فى قاعِها يفترُّ مبْتسمًا يا ليلُ ! هل صبغَتْ فاهُ يدُ القمر
والعشبُ مِنْ حولِها يزهو بخُضْرتِه يا أفقُ ! هل هو مَيْدَانٌ إلى النظر
والطيرُ من فوقِها فى ظلِّ وارفةٍ يا غصنُ ! هل أخذتْهُ رشةُ المطر
والنهرُ من تحتِها فى موجِهِ ألقٌ يا شمسُ ! هل هو مِرآةٌ إلى الشجر
إنى لأسمعُ فى أرجائها ضَحِكًا كغمْغَمَةٍ بعثتْها هزَّةُ الوتر

يا مَنْ يُؤَمِّلُ فِي الفِرْدَوْسِ بُغْيَتَهُ قررْتَ عيناً بها فى هذِهِ الصُّور
لبِّ الحيـاةَ فقد عمَّتْ بدعوتِها
وما الربيعُ سوَى تجْدِيدِ ذِكراها

— ٢ —

أتَى الربيعُ إلى الدُّنيـا كعادتِه
بما اجتناهُ
من الجِنانْ
مِلءِ اليَـدِ
فكادَ يُشْغلُ عنهـا فى عبادتِه
بمـا رآهُ
مِنَ الحِسَانْ
فى المعْبَـدِ

وأقْبلَتْ تتهادَى فى غلائلِها بنْتُ الجِنان تُحيِّيها كحَوَّاء
لو حاول الليل أن يغْزُو غدائِرَها لماجَ يسألُ أيْنَ الكوكبُ الثانى
تضاحَكَ الوردُ لما قيلَ وَجْنَتُها ! أكنتَ (ياوردُ) مَشْغُوفًا بإطراء
فأسفرتْ عن مُحيَّا فى بشاشَتِهِ يكادُ يَقْطُرُ مِنْهُ الحسْنُ كالماء
شفَّ الحريرُ الذى وارَى ترائِبَها عن فاتِنَيْنِ ... فهل هَمَّا بأشْيَاء
لم تسْحَبِ الذيلَ فوقَ الزهْرِ سائرةً إلا ومالَ بزَهْرِيِّها بإيمـاء
حتى أتَتْ مَحْفِلاً فى الروضِ مُنْزوِياً قد لاذَ فى السُّكرِ أهْلوهُ بأفياء
هذا أخُو شيْبَةٍ ألْقَى اليَرَاعَ عَلَى ما خطَّه وانْثَنَى فى شبهِ إغفاء
فهيَّأتْ كأسَه حتى إذا نظرَتْ ما فى الصحيفةِ غنَّتْ للاحِبَّاء
والشَّوْقُ فى دمِها والعُودُ فى يدِها يُعيدُ نغمتَها الأُولَى بأصْـدَاء

يا نائمًا فى ظِلالِ الكرْمِ وابْنَتُه
فى الحُـلْمِ تُؤْنِسُهُ قُمْ وَارْتشِفْ فاها

— ٣ —

هَذا الجمـالُ الذى كَمْ وَدَّ ناظِرُه

فى مَيْعـةٍ
من صِبـاهْ
نوْ نَالَهْ
يا وردُ ! مِثْلَكَ إن حَيَّاهُ شاعرُه
بنَفْثَـــةٍ
من هــواهْ
أصْغَى لهْ

شيرينُ غنَّيتِ صوتاً كانَ يُطْرِبُنى ... ليتَ الأحِبَّاءَ عادوا لى مع النغَمِ
ناموا وهدْهدَتِ الأزهارَ بعدَهُمُ ... يدُ الربيعِ على عَيْنى فلمْ تنم
ذكَّرْتِني بشبابى إذ تطوفُ بِهِ ... فى باحةِ الخُلْدِ آمالٌ مدَى الحُلُم
إذ كنتُ أُطلقُ نفسى فى سجِيَّتِها ... فلا تنى السبْقَ من جرىٍ على قدم
أشكو مواقعَ عينَىْ كلِّ فاتنةٍ ... مفتونةٍ بالذى أجلُو من الشَّمم
باحتْ بسرِّ شكاةِ القلْبِ رائعةٌ ... تلوحُ كالبرْقِ في داجٍ من الظُّلَم
ما للبياضِ أحالَ اللهُ جِدَّتَه ... يُفْضى إلى الهمِّ لا يفضى إلى الهمم
نُعِدُّ للصَّبْرِ أنفاساً محرَّقةً ... حتى تحولَ رماداً فَحْمَةُ اللَّمم
لأقْطعنَّ نياطَ القلبِ إن وَجدَتْ ... نفسِي سبيلاً إلى غرْسِ المُنى بدمى
فلو سَفرْتُ عن الآمالِ كانَ بها ... ما بى من الزمنِ الوفىِّ على الهرم
فَجَدِّدِى لِىَ بالَّلحْنِ الجميـلِ رُؤًى
لا زلتُ تحتَ ظِلالِ الكرْمِ أرْعاها

— ٤ —

يا طرْفَها ! إنَّهُ قضَّى الحيـاةَ إلى
مَشيبِـهِ
فى اكْتِئَـابِ
الشَّهْـبْ
وظلَّ مِجْمَرُه فى الأرضِ مُشتعِلا
بطيبِـهِ
لإلْـــهِ
الحُـبْ

شيرينُ حُسْنُكِ أعْطَى الأرْضَ زِينتَها
حتى ولو لم يَزِنْها كفُّ نَيْسانه
فكيفَ والطيرُ قدبلَّ الندى فمَهُ ... فطارَ يَمْـلأُ مَغناها بألحانه
هذا الربيعُ قد استلقى بحاشيةٍ ... من الزهورِ على الوادى وشطآنه
يُصيخُ للبُلبل العِربيدِ وَهْوَ على ... أرجوحةٍ من نسيمِ الرَّوْضِ أو بانِه
يَهُـزُّ أرجاءها هَزًّا بنغْمتِهِ ... ولا يُفيقُ كأنَّ السُّكرَ من شانه
فلقَّنيهِ من الألحانِ أطربَها ... إلى النفوسِ وجازِيه بإحسانه
وبادِلِي الرَّوْضَ أنفاساً مُعطرة ... فما أرقَّ الصَّبا فى ظلِّ أفنانه
وضاحِكِى الوردَ فى إبَّانِ حُمْرَتِهِ ... فَرُبَّما عادَ مطوِيًّا لأشجانه
ودونَكِ النهرَ فانْسَىْ فى تدفُّقِهِ ... هذا القميصَ الذى يُزْرِى بإنسانه
أما كَفَى الحُسْنَ أنَّ الموْتَ يَرْصُدُهُ ... فماله فى الصِّبا يسعَى بأكفانه

وقَبِّلِي الكاسَ ما دامتْ مُشَعْشَعَةً
ولا تَشحِّى على ثغْـرى ببُقياها

— ٥ —

يا رِبَّةَ الحُسْنِ ! إنَّ السُّكرَ مَبْعَثُهُ
عَيْنَـاكِ
وخَـدَّاهَا
لا الكاسْ
وأينَ من شفَتَيْكِ السِّحْرُ ينْفثُهُ
صِرْعَاكِ
باسمِهمَـا
فى الناسْ
طافتْ عليهمْ بها كالشَّمْسِ ساطِعَةً ... يُرِي عَلَى الخدِّ من لألائها شفَقُ
فعبَّ فيها ثلاثاً وَهيَ تسْنِدُهُ ... حتى تماسَكَ فى أحْشائِهِ الرمق
وعاوَدَ العُودَ شىءٌ من تململِهِ ... لما غَدَا العُودُ بينَ الجمرِ يحترق
فظلَّ يبعثُ فى الأسْماعِ أنَّتَهُ ... مَوْصُولَةً دُونَ أن يلتابَها قلق

ثم استمرّتْ تُغنّيهم ـ بما حملتْ ... يدُ الربيع لهم ـ والعُودُ يصْطفِق
«ياعاشقَ الوَرْدِ اماجاء الربيعُ لكمْ ... يحْيا حبيبُكَ مَخْفُوقاً به الودق »
وصوْتُها ماجَ بحراً لاَ هُدُوء لهُ ... من كلّ نجمٍ عَلَى أمْوَاجِهِ ألق
يعْلو ، فتحْسبُه شقّ القلوبَ إلى ... حبّاتِها ، وطَوى آلامَها الغرق
حتى إذاخفّ ـ مغمورًا بموْجَتِه ـ ... شيئاً فشيئاً ، تراءى حولَها الأفُق
فمالَ كلُّ نديمٍ فى ترنُّحِهِ ... على سِوَاهُ من الصوْتِ الذى عَشِقوا

فاقْطِفْهُ فى زَهْوِهِ ... وانْظُرْ إلى دَمِهِ
هل مَازَجَ الكاسَ إذْ تُسْقِى وَتُسْقَاهَا

— ٦ —

باتَ الهزارُ بقرْبِ الوردِ يَعْبُدُهُ
يا طَلُّ
كُنْ كالخَمْرِ
رقّــراقا
وقُلْ إلى النَّجْمِ إنّ الفَجْرَ مَوْعِدُهُ ...
يَظَلُّ
حتّى الفجــرِ
بــرّاقا

وتمّ للشّمْسِ فى الأفلاكِ جولتُها ... فجاوَزَتْ بخُطاها الغرْبَ فى خفَرِ
وظلّ من بعدِها ماأحمرٌ من شفَقٍ ... يسائِلُ الأرضَ هل غابت عن النظر
فانقضّ فى الرّوْضِ حفْلٌ كان مُنشِدُه
من الطيورِ وساقيه من الزهر
وأقبلَ الليلُ يحْدُوه تطلّعُهُ ... إلى الذى خَلّفَ النُّدمانُ من أثر
ياليلُ أفرطَ العِقدُ الذي امتلأتْ ... به يداكَ فقاض الكوْنُ بالدُّرر
لولا سناها لما عاينْتَ شاعرَهم ... وقد توسّد كفّيْهِ على النهر
بجنبِ شيرينَ مأخوذاً برَوْعتِها ... تُدليه[1] فى مائه الجارى من الشّعر
ووجهُها باسمٌ يُغنى بطلْعتِه ... من الشُّعُوعِ ويُمناها على الوتر

قال : انظُرى كيفَ يبدُو فى الظلام لنا
سرُّ الجمــالِ الذى يخْفَى مَعَ السحَر
شيرينُ لو كانَ لى بعْدَ البِلى أملٌ ... لما تمَنّيْتُ إلاّ ثانياً عُمُرِى
فعشتُ فى هـذهِ الدنيا كعهْدِكِ بى
للحُسْنِ ... يُشعِلُ لى نارًا فأغْشاها

— ٧ —

لِلحُسْنِ فينا ـ كما فيهِ لنا ـ وطَرٌ
مَنْ لمْ يَحُمْ
بَينَ يَدَيْ
نُورِهْ ؟
عاشَ الندامَى ... وحَلّى كأسَهُمْ قمرٌ
على النغَمْ
مِنْ عَرْشِ دَيْ
جُورِهْ !

عادَ الربيعُ لنيْسَابورَ ثانيةً ... وقدْ تبدلَ زاهى أمْسِها بغدِ
فكانَ فى الموكبِ التالى كسابِقِه ... يَمْشى معَ الحُسنِ مُختالاً يداً بيد
كم ذابَ قلبُ هزارٍ فى ترنمِهِ ... حتى تضوعَ هذا الزهرُ وهْوَ ندِ
عادَ الربيع وقد حف الحِسانُ به ... إلا الذى كانَ يهْوى الحُسْنَ لم يعُد
سلِ الوُرودَ وقد وارتْ بِكلّتِها ... ضريحَهُ لم تُكثِرْ من العَدد
هُناكَ حيثُ قديماً طابَ مَحْفِلُهُمْ ... حلّ الندامَى على أنماطِها الجُدد
عادَ الربيعُ ... فلا ردُّوا تحيّتَه ... إلا بأحْسَنَ منها ـ دائِمَ الأبد
بِشُعْلَةٍ فى يدَيْها رُوح شاعِرِهِمْ ... مثْلَ الفراشِ حوالَيْها معَ الحشد
حتى إذا تمّ دوْرُ الكاسِ بينَهُمُ ... مالتْ إلى القبْرِ بالباقى ولم تكد
فرددتْ قولَه ـ والعودُ فى قلقٍ ... تهتزُّ أوتارُهُ من صوْتِها الفرِد ـ
« واضَيْعَةَ الكاسِ يوْمًا إن عثَرْتِ بها
على رُفاتى ... قلْ أنعِمْ بِرُؤياها »

(البحرين) ابراهيم العريض

(١) الضمير يرجع إلى « الليل »

البعثة العلمانية الفرنسية

الليسيه الفرنسية

رقم ٢ شارع الحويانى بالقاهرة

١ — ليسيه البنين : تحضر الطلبة لمختلف أقسام البكالوريا الفرنسية

قسم مصرى

قسم تجارى

٢ — ليسيه البنات: تحضر الطالبات لشهادات «البريفيه» والبكالوريا الفرنسية وهى منفصلة انفصالاً كلياً عن ليسيه البنين

٣ — ليسيه الأطفال

٤ — روضة أطفال

قسم خارجى ، خارجى تحت المراقبة نصف داخلى ، سيارة للمدرسة

الكلية الفرنسية (للبنين)

٤٥ شارع الظاهر

تحضر الطلبة بمقتضى المناهج الابتدائية الفرنسية ومناهج البكالوريا المصرية

الليسيه الفرنسية المصرية

شارع فؤاد الأول بهليوبوليس

الثقافتان الفرنسية والمصرية تلقنان لجميع التلاميذ

اللغات الفرنسية والعربية والانجليزية إلزامية

ليسيه البنات منفصلة انفصالاً تاماً عن ليسيه البنين

روضة أطفال

كل أنواع الرياضة على أجل أراضى مصر .

غذاء فى الليسيه

أتوبوس المدرسة

الكلية الفرنسية (للبنات)

شارع زهنى بالظاهر رقم ٦

تحضر الطالبات بمقتضى المناهج الابتدائية لشهادة البريفيه

اللغتان العربية والانجليزية — فى جميع الفصول

تحدد يوم الافتتاح لجميع معاهد الارسالية العلمانية الفرنسية

فى أول أكتوبر ١٩٤٠